مولد العنف في الشخصية اليهودية

الآن فقط؛ وبعد إبرام «اتفاقية الجب» ضد الصدّيق «يوسف»، لقد تشكل الإجرام في طبع اليهود، وأصبح جليا أنه يُعد نوعا خاصا من الإجرام، قائما على التكتل والتعصب، والتنفيذ في خفاء والضرب في الظهر، تحت ستار من الظلام؛ في ليل الصحراء التي كان يسكنها أجدادهم آنذاك.

ولم يكن ذاك الإجرام الذى أبداه إخوة «يوسف» وليدا للصدفة، بل كان مُدبّرا ومحكما على مستوى الوعي والشعور حيث كان لهذا الإجرام دافعٌ، ورغبةٌ فى الاستحواذ على قلب أبيهم، ثم تحول هذا الدافع وتلكمُ الرغبة إلى خطة محكمة ..... فى قولهم : ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وهذه الخطة قد نفّذت بنية ، وعزم ، وإصرار على فعل العمل الإجرامى ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾، مع تقدير العواقب والاستعداد لها جيدا، ذلك أنهم جاءوا أباهم عشاء (ليدل تأخيرهم على أنهم كانوا يبحثون عن «يوسف»)، وأنهم جاءوا يبكون

(لينفوا الجريمة عنهم)، كما أنهم قد دلّسوا الحقيقة وأثبتوا الجريمة على الذئب بالدم الذي سفحوه على القميص ولطخوه به!!.

ولم يثنيهم عن عزمهم، ولم يفتّر قواهم موقف الضعف والمسكنة الذى زجوا بأخيهم فيه، لمّا قدروا عليه، وشلّوا حركته، ولم يهزهم هزة مشهد الرقة؛ التى كانت تشع من وجه الطفل البريء الرقيق القسمات، وهو يُلقى في البئر باكيا، ويستعطف إخوته صارخا في ذهول مما يحدث!!. فأقسى العواطف وأكثرها إيلاما أنك تجد نفسك تُعاقب على شيء أنت نفسك لا تعرفه، وإن كنت تعرفه فلم تكن تقصده، وأمرّ المرّ أن يسقيك المرارة من كنت تنتظر منه سقاية الشهد!، وأن يقتلك مَن في عنقه يكون ثأرك؛ إن أنت قُتِلت غيلة؛ ذلك أنه أقرب الأقرباء إليك فهو أخوك.

لكن إخوة يوسف كانوا في منتهى القسوة؛ كما صورها الله في قرآنه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

وبعدما أتمّ إخوة «يوسف» عملهم الإجرامي، تخلّصوا من كل مشاعر القلق والتوتر؛ التي انتابتهم من جرّاء المناوشات التي حدثت فيما بينهم من ناحية، وما بينهم وبين «يوسف» من ناحية أخرى، وذلك منذ غدوهم بالطفل إلى أن عادوا إلى أبيهم يبكون عندما جاء المساء بظلامه؛ ولقد ساعدهم الظلام على مداراة وتدليس المشاعر، وعلى إظهار الحُرقة والحزن

على قتيل هم قاتلوه!!.

لقد كان لِزاما أن يهاجمهم القلق الناتج عن القوة المستخدمة في تنفيذ الفعل الإجرامي؛ وهو إلقاء الطفل في البئر، والذي مُزج بالخوف؛ من أن ينفضح أمرهم وتنكشف جريمتهم المنكرة فيعرف أبوهم، لكنهم قد مسحوا جميع مشاعرهم؛ فأضحى وجدانهم خاليا من أية عاطفة، إلا البكاء المصطنع والدموع المزيفة، في مشهد يفضحه التدليس الذي ينطق به الدم المتناثر على القميص، بشكلٍ لم يكن ليخفى على رجلٍ في مثل حكمة وعلم «يعقوب» عليه السلام. ولقد أشار الحق سبحانه إلى ذلك المشهد فى قوله:

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف].